استلابُ الهوية في رواية (في حضرة العنقاء والخل الوفي)

Disposition of Identity in the Novel (In the Presence of the Phoenix and the Loyal friend)

م. م. نور علي الرماحي
اللغة العربية فرع الأدب.
وزارة التربية والتعليم/ مديرية تربية ذي قار/ الناصرية.

Assistant lecturer Nour Ali Al-Ramahi
Arabic Language - Literature Branch.
Ministry of Education
Directorate of Education Dhi Qar/ Nasiriyah.

كلمات مفتاحية : الاستلاب، الشخصية، الهوية، الوطن، البدون

key words: Dispossession، personality، identity، homeland، the Bidun

ملخص البحث

إنَّ استلابَ حقوق الإنسان من قبل السلطة السياسية المتمثّلة بالدولة؛ إنَّما هو نوع من أنواع العبودية، فهو يخلق مجتمعًا خاضعًا لأي سلطة تطبّق عليه قوانينها غير الشرعية، لكونها من أشدّ أنواع السلطات استلابًا للإنسان؛ لأنَّها تمثّل الدولة والمجتمع في آنٍ واحد، فيصبح فردًا عاجزًا في المجتمع خاضعًا لا يرفض القيود التي يُكبّل بها، ذلك أنَّ الهوية الثبوتية للمواطن تمثّل انتسابه إلى الوطن الذي يعيش فيه، فضلًا عن كونها توفّر له الحماية وتمنحه حقوق المواطنة، وفقدانها يشعره بالاغتراب داخل الوطن الذي يعيش فيه، وهو اغتراب أشدّ ممَّا لو كان يعاني من الغربة في دولة أخرى ليست موطنه الأصلي.

وهنا يأتي السؤال: هل إنَّ الإنسان المستلب متقبّل لذلك الاستلاب منغمس فيه؟ وهل هو يمتلك استعدادًا فطريًا لتقبّل طرده من صميم المجتمع؟

إنَّ بطل رواية (في حضرة العنقاء والخلّ الوفي) كان شخصية مهمّشة معذبة نفسيًا فرضت عليها الحكومة الاغتراب في بلدها الأم، فلم تُمنح حقّ المواطنة الذي يعدُّ حقًا لا بدَّ منه لكلِّ إنسان يولد في مكان ما، فإذا ما تصفّحنا قوانين أغلب دول العالم فإنَّنا نجدها تمنح كلَّ من يولد على أرضها جنسية بلد الولادة وإن لم يكن والداه من البلد نفسه، ليكون أحد مواطنيها، ويتمتّع بكلِّ الحقوق التي يتمتّع بها أي مواطن من أبوين يحملان جنسية البلد الذي ولد فيه, في حين كان بطل الرواية مسلوب الهوية يعاني منذُ طفولته من ذلك النقص الذي كَبر معه وسلب منه حق الأبوة فيما بعد

Abstract

The dispossession of human rights by the political power represented by the state is a type of slavery, as it creates a society that is subject to any authority whose illegal laws are applied to it. It is one of the most destructive types of authority for humans because it represents the state and society at the same time. Thus, he becomes a helpless and submissive individual in society who does not reject the restrictions that he is bound by. This is because the identity of the citizen represents his affiliation with the country in which he lives, as well as the fact that it provides him with protection and grants him the rights of citizenship. Its loss makes him feel alienated within the country in which he lives. It is a more severe alienation than if he suffers from in another country that is not his original home.

Here comes the question: Is the dispossessed person accepting that alienation and immersed in it? Does he have an innate willingness to accept his expulsion from the core of society?

The hero of the novel (In the Presence of the Phoenix and Loyal friend) was a marginalized, psychologically tortured character on whom the government imposed alienation in her mother country. The right of citizenship was not granted, which is an inevitable right for every person born in a place. If we browse the laws of most countries of the world, we find that they grant everyone who is born on their land the nationality of the country of birth, even if his parents are not from the same country. This person will be one of its citizens, and enjoy all the rights enjoyed by any citizen of two parents who hold the nationality of the country in which he was born. However, the hero of the novel whose identity has been dispossessed was suffering since his childhood. That lasted with him and later deprived him the right of parenthood.

المقدمة

إنَّ استلابَ حقوق الإنسان من قبل السلطة السياسية المتمّثلة بالدولة؛ إنَّما هو نوع من أنواع العبودية، فهو يخلق مجتمعًا خاضعًا لأي سلطة تطبّق عليه قوانينها غير الشرعية، لكونها من أشدّ أنواع السلطات استلابًا للإنسان؛ لأنَّها تمثّل الدولة والمجتمع في آنٍ واحد، فيصبح فردًا عاجزًا في المجتمع خاضعًا لا يرفض القيود التي يُكبّل بها، ومن هنا جاء بحثنا الموسوم استلاب الهوية في رواية (في حضرة العنقاء والخل الوفي) الذي درسنا فيه شخصية بطل الرواية (منسي) الذي عانى من الاستلاب من مرحلة الطفولة إلى آخر العمر؛ لكونه لا يمتلك هوية ثبوتية، وقد جاء البحث في ثلاثة محاور، تضمّن المحور الأول (استلاب الأسماء) ليكون الاستلاب متجذرًا في ذات الشخصية، أمَّا المحور الثاني فقد تحدثنا فيه عن (استلاب الهوية)، إذ إنَّ الهوية الثبوتية للمواطن تمثّل انتسابه إلى الوطن الذي يعيش فيه، فضلًا عن كونها توّفر له الحماية وتمنحه حقوق المواطنة، أمَّا المحور الثالث فقد تحدثنا فيه عن (استلاب المكان) ذلك أنَّ فقدان الشعور بالانتماء إلى المكان الذي يقنط فيه الإنسان يشعره بالاغتراب داخل الوطن الذي يعيش فيه، وهو اغتراب أشدّ ممّا لو كان يعاني من الغربة في دولة أخرى ليست موطنه الأصلي، ثم خرجنا بخاتمة لخّصنا فيها أهمّ ما توصّل إليه البحث من نتائج، ثم ثبتنا الهوامش والمصادر في آخر البحث.

توطئة

إذا ما بحثنا عن معنى الاستلاب لوجدناه ذا مدلول ((واسع وعريض يعني الاغتراب والانفصال والتحقّق الموضوعي للذات والتخلّي. وهو بهذا الاتساع الفضفاض يصبح مدلولا عائمًا يعني كل شيءٍ، وكأنه لا يعني شيئاً بالضبط))[١]. أمّا في معاجم اللغة فهو من ((سلب: سَلَبَه الشيءَ يَسْلُبُه سَلْباً وسَلَباً، واسْتَلَبَه إياه.. والاسْتِلابُ: الاختِلاس. والسَّلَب: مَا يُسْلَبُ؛ وَفِي التَّهْذِيبِ: مَا يُسْلَبُ بِهِ.. وَالْفِعْلُ سَلَبْتُه أَسْلُبُه سَلْباً إِذا أَخَذْتَ سَلَبَه، وسُلِبَ الرجلُ ثِيَابَهُ.))[٢]، فهو الأخذ والانتزاع من دون رضا المسلوب كما أنَّه يشير إلى استعمال القوة وعدم مراعاة الجهة المسلوبة.

أمَّا في الاصطلاح فـ((هو حالة إنبهارية وإنسحاقية تحت ظروف خارجة عن الإرادة. وهو انقطاع عن الانتماء إلى الذات، التشيؤ القهري))[٣]، فالإنسان المستلَب هو الإنسان الذي ينفصل عن ذاته بشكل غير إرادي وتحت ظروف خارجة عن إرادته، كما أنَّه لا يمتلك تغيير المصير الذي وضع فيه، وفي تعريف آخر يُعدُّ ((نسقا من القيم المزدوجة، أساسه الاستباحة، إمّا السقوط متمثّلا في إباحة الذات، أو القهر متمثلا في استباحة الآخرين))[٤].

استلاب الأسماء

إنَّ تحديد اسم للشخصية يمنحها تميزًا، فيصبح ذا بُعْد دلالي خاص بها، فالاسم يعيّن الشخصية في العمل الروائي ويرسم طبيعتها ويجلي جوهرها فتبدو متفرّدة عن غيرها من الشخصيات الأخر، كما أنَّه يحدّد ترتيبها الاجتماعي في المجتمع من حيث فقرها وغناها وذلك عن طريق لباسها وشكلها الخارجي وطبائعها وآرائها، فيأتي كلُّ ذلك داعمًا للاسم الذي اختاره الروائي لها بحيث يمثّل شبكة من المعلومات التي تتعاضد معًا لترسم صورة متكاملة عن الشخصية[٥]، وهنا يأتي سؤال: تسمية الشخصية

من قبل الروائي أ تأتي بقصدية أم بشكل اعتباطي ؟ إنَّ التسمية في كلِّ الأحوال سواء أ كانت قصدية أم اعتباطية فإنَّ الاسم يمثّل علامة لغوية مهمة تمثّل الشخصية نفسها، ويكون ذلك بشكل متغاير، وهنا تأتي مهمّة الباحث في التقصيّ عن الحوافز التي دفعت الروائي إلى اختيار ذلك الاسم دون غيره[٦] ذلك أنَّ تسمية الشخصية تحمل دلالات إضافية تكمل رسم صورة الشخصية في ذهن المتلقّي، ولذا فهي ضرورية في النص الروائي فضلاً عن كونها تميّز الشخصية من غيرها من الشخصيات الأخر، فالاسم وحدة بنائية كباقي الوحدات الجزئية الأخر التي تتشكّل منها الشخصية ومن ثَمَّ فهو فالاسم يعزّز الفهم الكامل للعمل القصصي وطبيعته[٧].

وبالعودة إلى الرواية مجال البحث نجد انطلاقة الراوي من اسم البطل (منسي) وهو من ((نَسِيَ: النُّونُ وَالسِّينُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى إِغْفَالِ الشَّيْءِ، وَالثَّانِي عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ، فَالْأَوَّلُ نَسِيتُ الشَّيْءَ، إِذَا لَمْ تَذْكُرْهُ، نِسْيَانًا. وَمُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ النِّسْيُ مِنْهُ. وَالنِّسْيُ: مَا سَقَطَ مِنْ مَنَازِلِ الْمُرْتَحِلِينَ، مِنْ رُذَالِ أَمْتِعَتِهِمْ، فَيَقُولُونَ: تَتَبَّعُوا أَنَسَاءَكُمْ.))[٨] فيقال: لَسْتُ بنَاسِيها وَلَا مُنْسِيها؛ أي ليس بتارِكها، وَلَا مؤخِّرها، النَّاسِي إِنَّهُ التَّارِكُ لَا المُنْسِي، يقال: نَسِيَ فلانٌ شَيْئًا كَانَ يَذْكُرُهُ، وَإِنَّهُ لَنَسِيٌّ كَثِيرُ النِّسيان. والنِّسْيُ: الشَّيْءُ المَنْسِيُّ الَّذِي لَا يَذْكُرُ ولَا يُعَدُّ فِي الْقَوْمِ لأَنه مَنْسِيٌّ[٩] ثم أتمّها بعدم ذكر اسم لأبيه؛ إنَّما هو ابن أبيه، وهي تسمية تُطلق على من لا يعرف أباه، ليجعل من الاستلاب صفه متلازمة ومتجذرة فيه منذُ طفولته، فهو مستلب الهوية منذُ ولادته فلا يذكر اسم أبيه ولا يمتلك هوية تمنحه صفة المواطن الكويتي، ومن ثَمَّ فإنَّ ولادة إنسان مستلب الحقوق تخلق منه إنسانًا لا يعرف سبب استلابه، كما أنَّه اختار لزوجته اسمًا مرادفًا لما يعانيه في بلده من حيث كثرة العهود للبدون على أمل إعطائهم الهوية الكويتية وذلك بوساطة القوانين التي تصدر بين حين وآخر فقد سمّاها (عهود)، وعهود من العهد، وهو من (عَهِدَ) الْعَيْنُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلُ هَذَا الْبَابِ عِنْدَنَا دَالٌّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ.. وأَصْلُهُ الِاحْتِفَاظُ بِالشَّيْءِ وَإِحْدَاثُ الْعَهْدِ بِهِ.. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ عَهِدَ الرَّجُلُ يَعْهَدُ عَهْدًا، وَهُوَ مِنَ الْوَصِيَّةِ.. وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْعَهْدِ الَّذِي يُكْتَبُ لِلْوُلَاةِ مِنَ الْوَصِيَّةِ... وَالْعَهْدُ: الْمَوْثِقُ، وَجَمْعُهُ عُهُودٌ. وهو الِالْتِقَاءُ وَالْإِلْمَامُ بالشيء والاحتفاظ به، والعَهْدُ أيضًا المَوْثِقُ وَالْيَمِينُ التي يَحْلِفُ بِهَا الرَّجُلُ يقال عَلَيَّ عهدُ اللهِ لأفعلن كَذَا؛ والْوَفَاءُ أيضًا والعهْدُ جَمْعُ العُهْدَةِ وَهُوَ الْمِيثَاقُ وَالْيَمِينُ الَّتِي تستوثقُ بِهَا مِمَّنْ يعاهدُك، والأَمانُ، وَكَذَلِكَ الذِّمَّةُ؛ تَقُولُ: أَنا أُعْهِدُك مِنْ هَذَا الأَمر[١٠]، فقد مثّلت عهود صيغة أخرى للوطن الذي قدَّم له (منسي) كلَّ ما يستطيع إلَّا أنَّه بقي منسيًا، فلا هوية مواطنة ولا حقوق كذلك (عهود) حقَّقت ما تريد من زواجها بمنسي بوصولها إلى حلم حياتها في ولادة بنت ثم تركته لأنَّه من البدون، وهنا جاء الترك أكبر لكونها حرمته من ابنته (زينب)، فقد وضَّف الروائي اسم كلٍّ منهما ليكون نوعًا آخر من أنواع الاستلاب للشخصية، ومن ثَمَّ يكون الاستلاب متجذرًا في الشخصية مواكبًا لها في حياتها الخاصة والعامة كما سنرى لاحقًا.

استلاب الهوية

إنَّ شياع الاستلاب في المجتمع يفكّك ذلك المجتمع؛ لأنَّ الأفراد المستلبين يعيشون في دوامة لا نهاية لها، فلا يعرفون كيف يعيشون ولا يعرفون ماذا يصنعون؛ لأنَّ الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية أحالتهم إلى شخصيات تعيش من دون أدنى رغبة في العيش، فتراهم أشبه بالدمى التي يحرّكها مسرح الدمى، فلا تعي ما تفعل ولا تعرف الماهية التي تخرجها من تلك الدوامة، ومن ثَمَّ تأخذهم الرياح أين ما تذهب، فـ((الاستلاب صنيعة الخيبة والعجز، وهو رديف الإحساس بالضياع واللاجدوى الذي يحكم قبضته من نفس الإنسان، فيحيله إلى حال التسليم المرضي، والرضا بالعيش في هامش الحياة وبهذا يمكن القول بأنَّه حالة نفسية تفضي بأنماطها المختلفة إلى تشكيل سلوكيات بشرية متنوّعة؛ تبعا للحال الفكرية والاجتماعية والدينية التي ينتمي إليها الفرد))[١١]، وهذا ما كان يعيشه (منسي)، فهو لم تكن لديه أية قدرة على اختيار الحياة التي يعيشها؛ إنَّما كانت كلُّ حياته ترسمها الشخصيات التي عاش معها سواء أصدقاؤه الذين أخذوا على عاتقهم مساعدته ليحصل على الشهادة الأكاديمية أو زواجه بزوجته، ومن ثَمَّ ما حدث له أيام احتلال الكويت عندما صار مع جيش الاحتلال، ومن ثَمَّ طلاقه لزوجته، فقد كانت الظروف هي التي ترسم مساراته، وليس له إلَّا أن يسير مغمض العينين حتى عندما شارك في حماية المغتربين في الكويت كان يشعر بقصور في ذاته هل يستطيع تقديم شيء للوطن الذي لم يمنحه حق المواطنة؟ في حين كانت زوجته (عهود) ضد تقاليد المجتمع التي فرضت عليها كثيرًا من القيود، وربَّما السبب في خضوع منسي لذلك الاستلاب قبالة تمرّد (عهود) أنَّ القيود المفروضة عليه نابعة من سلطة الدولة التي تمتلك حقّ التصرّف بالمواطن في حين القيود المفروضة على (عهود) إنَّما هي قيود مجتمعية يمكن الخروج عنها.

إنَّ ما يتعرّض له (البدون) في الكويت كان حرمانًا من الحياة، فهو أشبه بالموت على قيد الحياة المتوقّفة، فلم يكن حرمانًا من الهوية الكويتية فقط؛ بل كان حرمانًا من العمل الحكومي، وهذا بدوره انسحب إلى عدم إمكانية أن يمتلك بيتًا، فلو امتلك بيتًا أخذ الجنسية الكويتية بحسب أحد القوانين كما أنَّ الأمر لا يتوقّف هنا؛ بل هو في تطوّر بحسب الظروف التي يمرّ فيها البلد، ففي الوقت الذي ينتظر فيه (البدون) حصولهم على حقّ المواطنة الكويتية تصدر تعليمات أخر تكرّس استلابهم من كلِّ شيء، من ذلك عدم تجديد رخصة القيادة لهم، ذلك أنَّ ما يشعر به (البدون) هو أشبه بالدوران في دائرة مغلقة لا يمكن الخروج منها، وهذا ما دفع الروائي إلى معالجة هذا الأمر في روايات عدة، وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ خوض الروائي في قضايا واقعية يعاني منها المجتمع، وأسبابها سياسية يحتاج من الروائي إلى جرأة في الطرح ولا سيما إذا كان الروائي يعيش في الدولة نفسها، وهو بذلك يسعى إلى ((إنشاء عالم خاص تتحوّل فيه الكلمة ذاتها إلى واقع حقيقي، وتتحوّل ضمنه الأحداث إلى تجارب تحذقها الكلمات))[١٢]، فيرسم صورة للإنسان المضطهد في بلده والمستلبة حقوقه فيه قبالة فرض الواجبات عليه، فإذا ما عندنا

إلى الرواية التي نحن بصدد دراسة الشخصية المستلبة فيها، فإنَّنا نجد الروائي قد سلَّط الضوء في الرواية جُلّها على تلك الشخصية، وقد جعل الرواية أشبه بالرسالة التي يرسلها بطل الرواية إلى ابنته التي حُرم منها بسبب افتقاده للهوية الكويتية، وكأنَّه يريد أن يبرّر لها سبب فراقه لها، فقد ولدت يتيمة الأب وإن كان والدها على قيد الحياة.

إنَّ (منسي) هو تلك الشخصية التي تبحث عن وطن ليس بصفته مكانًا يقنط فيه الإنسان؛ إنَّما هو ذلك الانتماء المعنوي الذي يتوق له كلُّ إنسان، فمن جانب المكان هو يسكن في الكويت وله عمل وإن كان خارج الإطار الوظيفي في إحدى مؤسسات الدولة؛ إلَّا أنَّه يحقِّق له شيئًا من العيش لكنَّه يبحث عن الانتماء بصفته أحد نوازع الإنسان اتجاه ما يحبّ، فقد أحبّ منسي الكويت وإن لم يمنحه هذا البلد أية صفة رسمية حتى آخر الرواية، وعليه يمكننا القول إنَّ الكويت لم تقدِّم لمنسي أي شيء بل سلبت منه كلَّ شيء ممّا حدا به إنسانًا يبحث عن المواطنة الضائعة في خلجات القوانين الخالية من الحب والإنسانية، يصف تلك القوانين الوضعية فيقول ((العناية الربانية غير مشمولة بقوانين وضعية))[١٣]، ذلك أنَّ يأس الإنسان يجعله يرى كلَّ شيء مسودًا أمامه، فيفقد الأمل حتى بقدرة الله، فطلب منسي حقّ المواطنة كان نابعًا من حبِّه للكويت البلد الذي ترعرع فيه، فقد كان يمتلك حقّ اللجوء إلى بلد آخر إلَّا أنَّه فضَّل العيش في البلد الذي يحمل له الحب، ولم يتوقّف عند ذلك بل قدَّم له كلَّ ما يستطيع عندما شعر بحاجة الوطن إليه، عند اجتياح العراق الكويت.

وهنا يأتي السؤال: الإنسان المستلب (منسي) في رواية في حضرة العنقاء والخلّ الوفي أ كان متقبَّلا لذلك الاستلاب منغمسًا فيه، أم أنَّ قوة الجهة المُستلِبة هي التي تخلق إنسانًا عاجزًا لا يمتلك تغيير الواقع الذي يعيش فيه، وهذا بدوره ينعكس على جميع مفاصل حياته، أم أنَّ الأمر محدّد في نواحٍ محدّدة ضمن إطار معيّن؟ إنَّ الحياة التي عاشها منسي إنَّما هي حياة محكمة بالسجن المعنوي المؤبد على الرغم من أنه حرّ طليق ماديًا، فعلى الرغم من أنَّ القيود لا تكبّل يديه إلَّا أنَّها تخنق أنفاسه وتجعله مسلوب الإرادة لا يعي من وجوده في الحياة إلَّا أملًا من المحال تحقيقه، وممَّا زاد في ذلك الشعور عدم رؤيته ابنته زينب لأنَّه من البدون لا يمتلك حقّ المواطنة، فهو لا يمتلك حقّ الأبوّة ولا الحياة، يقول: ((هنا أنا، طوال خمس وثلاثين سنة عمر الواحد في كنف دولة مستقلة ذات كيان معترف به، بقيتُ محرومًا من أية وثيقة انتماء رسمية))[١٤]، إذ إنَّ ما يعانيه (البدون) في المجتمع أكبر من حرمان الحكومة لهم من حقّ المواطنة، إنَّها تلك الكلمات التي تقلّل من شأنهم، فيقال لهم عند المخاطبة.. اسمع يا لبدون.. لأنك بدون.. نكرة بدون.. وعند الحديث معهم يقال لهم.. امشِ..[١٥] وهذا ما يؤثّر على النفس البشرية ويخلق فجوة بين الإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه.

لقد كان حديث منسي بما يخصّ المعاناة التي يعيشها والقرارات التي لا يستطيع اتخاذها مع نفسه أكثر من حديثه مع الآخرين، ربَّما لأنَّه لا يستطيع إخراج صوته خارج أوتاره الصوتية على الرغم من كونه كاتبًا ناقدًا مسرحيًا معروفًا وهذه مفارقة كبيرة في

كونه يكتب خارج إطار ذاته المستلبة التي أخفى فيها رغباته وقراراته، فقد كان أولى به أن ينطق بها خير له من المعاناة التي لاقاها بسبب ذلك الصمت، فقد فضَّل منسي العزلة عن الناس والإصغاء إلى ما تتلوه عليه نفسه المعذّبة، فقد اعتكف على الكتابة وجمع ملفّات عن شخصيات معروفة في المجتمع. أي إنَّ الروائي يعرض شخصية منسي عن طريق الحوار الذي يجريه مع نفسه والذي يكتبه لابنته زينب – كما أسلفنا - فيقول لها: ((وأنا الملحق بها))[١٦] أي بزوجته (عهود) فهو يرى نفسه ملحقًا بـ(عهود) وأنَّه شيء قابل للتغيير والتشكيل على وفق ما تريد، وفي حديث آخر عن نفسه يقول: ((منسي اسم على مسمّى))[١٧] فعبر تلك النصوص المؤطّرة وغيرها الكثير في الرواية نجد البطل منغمسًا في الهامش متقبّلا له لا يبذل أي مجهود للخروج من الحالة التي يعيشها، يقول لزوجته (عهود) في بداية تعارفهما عندما طلبت منه أن يحدّثها عن نفسه وحياته ((لا شيء يستحقّ.. حياتي حتى الآن فقيرة لأحداث جديرة بالإفصاح.. البعض محكومون بالبقاء على الهامش))[١٨] ذلك أنَّ صدور الحكم على الشيء يجعله مرتهنًا فيه، وهذا ما أدركه منسي أنَّه محكوم للعيش في الهامش، وأنَّه غير مستعدّ للإفصاح عن أي شيء في حياته، وإن كان فيها الكثير من الأحداث الجديرة بالذكر لكنَّه يراها لا تستحقّ الحديث؛ لكون صاحبها محكومًا في هامش الحياة، تقول له ((ودّي أراكَ تضحك دائمًا. تقصدين أنا متجهم. كأن الدنيا كلها تناصبكَ العداء))[١٩] إنَّ ما يشعر بيه (منسي) لا يقتصر على كونه شعورًا داخليًا بينه وبين نفسه؛ بل هو ظاهر في صفحات وجهه وملامحه، فلا يضحك ولا يتحدّث عن نفسه كأنَّه يرى أنَّ الكون كلَّه ضده ممَّا حدا به هامشًا بفعل القوانين، وهامشًا بفعل نفسه. وفي نص آخر تصفه قائلة: ((واحد متردّد لا يعرف ما يريد ولا يكلف نفسه معرفة ما يريد))[٢٠] إنَّ عدم معرفة الإنسان ما يريد يجعله يسعى إلى فهم نفسه ومن ثَمَّ يتصالح معها محاولًا تغيير ما يستطيع تغييره، ليخرج نفسه من إطار أُرغم على الدخول فيه، فبات لا يُحسن الظن في أي شيء حتى لو أُتيحت له الفرصة للخروج منه. تقول له عهود في نص آخر ((صدق سليمان الياسين، أنتَ منحوس، والمنحوس هو الذي يسيء الظن للاسبب))[٢١]، فغدا (منسي) شخصية مستلبة من قبل الدولة ومن قبل نفسه اتجاه ذاته.

إنَّ الشخصية المستلبة في المجتمع تكون ذات سلوكيات مختلفة بحسب طبيعة تلك الشخصية، ومدى تقبّلها للتهميش في المتجمع، فضلًا عن نوع السلطة التي همَّشتها، فمنها شخصيات تسلك مسلكًا عدائيًا، فتراها ترفض كلَّ أنواع التسلط، فينشأ عن ذلك جماعات معارضة للحكومات، وأخرى خارجة عن سلطة المجتمع ومن ثَمَّ فإنَّها تتعرض للقتل والاعتقال والنفي، وربَّما تصل إلى هدر دمها في القبيلة، في حين هناك شخصيات أخر تعتزل الناس وتصبح انطوائية مستسلمة لا يهمّها من الحياة إلَّا قضاء ما قسم لها الله من الحياة بانتظار الأجل لا هي ثائرة ولا هي منتجة فاعلة في المجتمع، فقد يتعرّض المستلب إلى ((أوضاع وأنظمة ومناخات عامة لا تسمح له بممارسة حريته وتنمية طاقاته الإبداعية، ولا تشجّع على اندماجه بقدر ما تشجّع على عزله،

ولا تغني حياته بقدر ما تفقرها في الصميم، ولا تملأ نفسه بالاعتزاز بكرامته وهويته بقدر ما تذلّه وتسلبه حق المشاركة في صنع مصيره وبقدر ما يمارس عليه القهر))[٢٢] في حين تجد شخصيات أخر اتخذت وسطًا في ذلك فهي لا تثور على الدولة ولكنَّها تخدم المجتمع، فتصبح شخصيات اجتماعية معروفة ذلك لأنَّها محبّة لبلدها وإن حُرمت من أيسر حقوقها وأخصّ بالذكر حقّ المواطنة، و(منسي) من تلك الشخصيات التي لم تثر على السلطة، ولكنَّها لم تعتزل المجتمع بشكل كامل بل كان يعمل في المجلات فكان كاتبًا ناقدًا معروفًا يمثّل بلده الكويت في المحافل والمهرجانات في الدول الأخر، أي إنَّه على الرغم من كونه يحمل هوية منبوذة في المجتمع وغير معترف به مواطنًا كويتيًا إلَّا أنَّه كان يبدع في جانب آخر ويمثّل بلده، ولكن لم يمكِّنه ذلك من التحوّل من بدون إلى مواطن كويتي، وهذا ما أثَّر عليه فيما بعد.

إنَّ شعور الإنسان بالاغتراب في وطنه يجعله يعيش في نمطين من الاغتراب؛ اغتراب واقعي يعيشه في المجتمع الذي هو جزء منه، واغتراب نفسي لكونه لا يعرف الأسباب التي أحالته إلى شخص من دون هوية، فهو ما بين ((اغتراب واقعي يجعله دائمًا في حالة وجود مأساوي بسبب تناقض حاجاته مع شروط تحقيقها، واغتراب الوعي بسبب أنه لا يعرف أسباب اغترابه الحقيقية))[٢٣]، وهو بذلك يعيش في صراعين صراع مع المجتمع ليثبت أنَّه من ذلك الوطن، وصراع مع الذات التي تبحث عن الخلاص من دون جدوى؛ لأنَّها أساسًا لا تعرف سبب اغترابها، فالاغتراب هو الابتعاد عن الوطن ومنسي ابن الوطن الذي هو مغترب فيه، إنَّ ذلك الصراع يجعل منه في دوامة يلفّها الصمت فيصبح لعبة بيد (عهود)، فقد كان مسلوب الإرادة اتجاه القرارات التي اتخذتها من دون إشراكه في جميع الأمور، وخضوعه لتلك القرارات لربَّما كان سعيًا للخلاص من عبودية البدون في حال أخذ الجنسية لكونه زوج مواطنة كويتية بحسب ما تظن والدته هذا من ناحية، وإثبات الذات أمام نفسه بأنَّه يمكن الارتباط بمواطنة كويتية من ناحية أخرى، لأنَّ المجتمع يرفض ذلك الارتباط ولكن الحرمان الذي كان يطال (منسي) في حقّ المواطنة لتصبح الكويت وطنًا له جعله خائفًا اتجاه اتخاذ وطن مصغّر له تمثّل في طلب يد (عهود)، فقد تردّد في ذلك كثيرًا ممّا اضطرّها إلى أخذه إلى بيت عمها عنوة ليخطبها، ومن ثَمَّ كانت تجربة الوطن المصغر فاشلة، فلو نجحت لحقَّق شيئًا من المواطنة المعنوية إلَّا أنَّ فشل تلك التجربة أثر عليه أيضًا، والجدير بالذكر أنَّ الآخر أي (عهود) هي من تخلَّت عنه لكونه بدونًا عندما شعرت بالضعف لكونها مواطنة كويتية بعد سقوط الدولة، وبذلك يكون منسي قد تعرّض لتهميشين في الوقت نفسه، أو استلاب حقه من جانبين الأول من الكويت والآخر من زوجته (عهود) سواء بطلب الطلاق، أو تعرّضه لشتى أنواع المصاعب وأتّمها بحرمانه من ابنته زينب، ربَّما كان منسي يبحث عن الحب وتكوين الوطن المصغّر الذي يعوّضه عن استلاب الهوية الذي شكَّل استلابًا للذات، ولكن الأمر لم يكن كما يريد إنَّما صار مكمَّلا من مكمّلات الاستلاب،

فقد كان يشعر بأنَّه ملحق لعهود ليس إلَّا لأنَّها كانت تتخذ القرارات في كلِّ شيء حتى قرار زواجهما، فقد أخذت ملفّ طلب الجنسية إلى عمّها ليوافق على تزويجهما، وكان ذلك من دون علمه، وهذا ما جعله يشعر بأنَّه سلعة قيد الطلب هو المغلوب على أمره الهامش الذي لا يحقّ له أي شيء سوى الحديث مع نفسه، وإنجاز القرارات التي تتخذها عوضًا عنه ذلك أن قرار الزواج وتحديد يوم عقد القِران كان لا بدَّ أن يحدث قبل عودة أخيها (سعود)، فهي لا تريد الرضوخ تحت سلطته كما أنَّها متيقنة أنَّه سيرفض زواجها من بدون.

إن حالة الاستسلام التي يشعر بها (منسي) في كلِّ مفاصل حياته ما هي إلَّا من تراكمات استلاب حقّ المواطنة التي بدورها تعني استلابات متعدّدة من حيث الوظيفة وامتلاك البيت وصولًا إلى تكوين عائلة تحتضنه بدل الوطن، فقد سيطر عليه شعور الاستلاب سيطرة تمامة، يقول ((تدري عني آخر من يقول لا))[٢٤]، إذ إنَّ استلاب هويته الوطنية سلب منه كلَّ شيء حتى حقّ الردّ على الآخرين، فلا ينطق إنَّما يقول دائمًا (أومأت برأسي) وهي ردة فعل نفسية، فهو كان مستلبًا لنفسه أيضًا. وفي نص آخر تقول له عهود بصيغة الأمر ((نمشي صيغة قرارها تشملني بها.. تبعتها صامتًا مبقيًا مسافة خطوتين))[٢٥] الأمر (نمشي) يعني أنَّها كانت تقود زمام الأمور حتى في قعودهما وذهابهما وإيابهما وما يأكلان ويشربان، كما أنَّها كانت طوال ذلك تحكي له عن كلِّ تفاصيل حياتها، وهو صامت مستمع كان ذلك في أول لقائهما في الشام عندما مثَّل الكويت في أحد المهرجانات، يقول: ((وما درت أنّي مغلوب على حالي تجاه كل الذي يصدر عنها))[٢٦] ممَّا أشعره بأنَّه سلعة بيدها تستغلها كيفما تشاء يقول: ((مطالب استوعب فكرة أنا سلعة يمكن الاستغناء عنها))[٢٧]، فقد كان يشعر بأنَّ المحفّز الأساس لزواج عهود به هو تحقيق أمنيتها في إنجاب طفل بدل الطفل الذي فقدته في زواجها الأول، وأنَّ الطفل القادم إنَّما هو ملكية خاصة بها وما هو إلَّا أداة لا بدَّ من الركون إليها لتحقّق الحمل، فقد كان منسي يرى زواجه بعهود يحوّله إلى شيء ملحق بها لكونها كويتية وهو بدون، وقد تقصّى حالات عدة لزواج البدون بالكويتية، فانتهت بالطلاق وذلك من أجل عدم حرمان حقّ المواطنة للأولاد، فطلاق الكويتية من البدون يحميهم من الانتساب إلى الأب البدون ذلك أنَّ زواجهم أول الأمر كان على أساس إمكانية إقرار قانون يفيد بإعطاء البدون حقّ المواطنة إذا ما تزوّج بكويتية[٢٨] لكن الواقع يقول ((خلفة البدون بدون))[٢٩] وهذا ما جعله لا يفرح عندما علم بخبر حمل عهود، بل شعر بأنَّه سوف ينجب فردًا في المجتمع مستلب الهواية مثل أبيه، فالقانون الكويتي ينصّ على ضرورة تطليق البدون من زوجته الكويتية طلاقًا بائنًا ليتحوّل الأولاد بعد ذلك إلى مشروع مواطن كويتي إلحاقًا بأمه، هذا ما جعل (منسي) يطلق (عهود) طلاقًا بائنًا، فلم يكن الأمر سهلًا عليه، فقد تمنَّى في تلك اللحظات لو لم يلتقِ بزوجته، لو تحدث حينها ورفض الزواج، لو اشترط رؤية ابنته قانونيًا، لو خرج ولو قليلًا من شرنقة الاستلاب لتغيّرت حياته إلَّا أنَّ انغماسه في الملحق التابع جعل منه مستلبًا من كلِّ شيء

سوى الحديث مع نفسه، يقول: ((عهود حكمت عليّ بالإلغاء، لها مطلق الإلغاء ولي حقّ الرضوخ حاملًا ورز موافقة الزواج، تتخفّف معاناتي لوزري بتحقّق كائن يخصني))[٣٠]، ذلك أنَّ السلطة التي تمارسها الحكومة على الأفراد فتسلبهم حق المواطنة تكون منوطة بأسباب أخر تقوّي ذلك الاستلاب، ومن أهمّ تلك الأسباب تقبّل المجتمع استلاب حقوق فئة معينة منه، وعليه يكون المجمع داعمًا للسلطة المستبدة واليد التي تضرب بها الحكومات على تلك الفئة المستلبة حقوقها في وطنها الأم، يقول منسي مخاطبًا أمه: ((يا أمي عهود إنسانة غير، لا أظنك تجهلين ذلك، زواجي بها خطأ لا أمل بتلافيه أو إصلاحه، عهود تريدني تابعًا صاغرًا مؤهلًا يتلقّى إهاناتها، الآن وسط غمة الاحتلال تراني طرفًا عدوًّا، تكره البقاء هنا محاطة بأعداء الكويت))[٣١].

إنَّ من أهمّ أسباب الاستلاب وأكثرها شيوعاً هو الاستبداد السياسي؛ وذلك بسبب الأنظمة الدكتاتورية التي انتهكت حقوق الإنسان بمواطنته في داخل بلده الذي ولِد فيه سواء بتكتيم الأفواه، أو حرمان فئة من الشعب من حقّ العيش أحرارًا في بلدهم، فيحوّلهم إلى هامش الحياة لا دور لهم فيها، فيصبح الشخص المستلب يعيش يومه لا يفكر في المستقبل منطويًا في ألم الماضي الذي أحاله إلى شخصية خاضعة لا تعي سوى الاستسلام والقبول بما فُرض عليها واستُلب منها، فالإنسان المستلَب ((يبقى خادما مطيعا لأنساق الثقافة والعموميات، همَّه من الدنيا صغريات الأمور، فهو لا يعرف ماذا تعني جمهورية الحرية ولا يريد أن يعرف، إنه يكتفي بالحياة أيا كان شكلها. لذلك فهو لا يعيش حالة صراع داخلية، بل يكفيه أن يكون الطرف الأضعف في جدلية الأنا والآخر، فيأخذ الدور السلبي منها: أعني الشخصية المستلبة الانهزامية المقهورة.))[٣٢]، إذ إنَّ تهميش الدولة لفئة معيّنة من مواطنيها يخلق منهم شخصيات مستلَبة يمكن استغلالها من قبل الأعداء، وهذا ما حدث مع البدون في خضّم احتلال العراق للكويت، ذلك أنَّ شعور البدون بعدم أحقيّتهم بكلِّ شيء كويتي جعلهم يظنون أنَّ حق الدفاع عن الكويت مناط بالكويتيين فقط، يقول منسي مخاطبًا صديقه مبارك سويد ((الكويتيون وحدهم مسؤولون.. البدون لا يشاركون في أعمال المقاومة))[٣٣]، أمَّا في نظر الاحتلال فـ((أفراد فئة البدون يتلقّون من جانب استخباراتنا معاملة شاذة، الشذوذ يتأتّى عن قناعة مفادها أنتم تنتمون بشكل وبآخر للمعارضة العراقية المقيمة خارج بلدها والتي لا تدخر جهدها تسيء لسمعة النظام، بمعنى أنتم عملاء ناكرون لمواطنيتكم العراقية حتى يثبت العكس، والأثبات يمرّ عبر جلسات انتزاع معلومات تبدأ بانتزاع أظافر الواحد))[٣٤]، وبذلك يكون البدون في داخل دوامة أخرى لا بلدهم يريدهم ولا المحتل، فالجميع يرى أنَّهم لا يستحقون المواطنة وأنَّه لا بدَّ أن يكونوا هامشًا في كلِّ الأحوال، وما هم إلَّا الأداة التي يدفع بها الجانبان لتثبت الانتماء لاحدهما على الرغم من أنَّ الجانبين الوطن والمحتل لا يعترف بهم.

وهنا يأتي السؤال: أ إنَّ الإنسان المستلَب هو في الحقيقة يمتلك استعدادًا فطريًا على تقبّل طرده من صميم المجتمع الذي يعيش فيه أم هناك نوع السلطة هو الذي يحدّد كونه خاضعًا مُتقبلًا لذلك؟ أقول إنَّ

الإنسان يولد حرًا على الأرض، ولكنه ربَّما يمتلك الاستعداد لتقبّل طرده من المجتمع الذي ولِد فيه ممَّا يجعله خاضعًا لسلطة الدولة، والظروف هي التي تدفعه إلى ذلك، أي إنَّ المجتمع يساعد في خلق ذلك الاستعداد، فـ(منسي) كان يتمنّى ترك الكويت والهجرة إلى بلد أوربي لاجئًا يتمتع بكامل الحرية التي لم يمنحها إيَّاه بلده الأم، ولكن جذوره المتمثّلة بأمه التي منعته من ذلك، فهو بين أمرين وطن لا يمنحه حق المواطنة والعيش الكريم، وأم لا تستطيع العيش خارج ذلك الوطن، وإن كان يرفضها بصفتها مواطنة. يتساءل مع جثة والدته، فيقول: ((تراكِ اخترتِ السبيل الأسهل، تواريت عمدًا، هكذا وإلى الأبد، أم إنكِ فارقتِ تعبًا، زهدًا بحياة على الهامش.. أنا الحي المتبقّي الذي لا خيار أمامه غير أنْ يواصل الحياة عند الهامش أو فيه))[٣٥]. إنَّ اضطرار الشخصية المستلَبة إلى التصالح مع الواقع الذي تعيشه؛ إنَّما يكون بسبب اليأس من اندماجها في المجتمع لأنَّ السلطة هي التي سلبت حقها في المواطنة واكتساب الهواية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إنما هي مضطرة إلى ذلك التصالح للخروج من حال سئ إلى أقل سوءا، فهي بذلك تحاول انتشال روحها المعذبة من السجن الذي لا جدران له، ففي المقبرة يقول: ((هنا في هذا المكان يتساوى الكويتي بالغير، لا يحتاج الأخير وثائق ثبوتية أو جواز سفر يؤمّن عبوره نحو البرزخ))[٣٦]، فقد أيقن البدون أنَّه لا يمكن أن يتساوى مع الكويتي إلَّا في القبر لأنَّه لا يحتاج إلى أوراق تثبت كونه كويتيًا ليصل إلى عالم البرزخ.

لقد قدَّم (منسي) للوطن كلَّ ما يستطيع سواء بتمثيله الكويت في سوريا، أو في دفاعه عن ضيوف الوطن، أو أصدقائه في أثناء الاحتلال إلَّا أنَّه بقي ذلك الحضن البارد الذي لا يخرج عن صرامته في الأنظمة والقوانين التي هي من صنع البشر، فقد غدا ذلك الصنم المستلب حق أبنائه البارّين به محتفظًا بآخرين أمثال (سعود) و(عهود) وغيرهما أولئك الذين لا يقدّمون حب الوطن على حب ذواتهم في حين منسي ذاب في حب الوطن هو وأمه التي ربّته على ذلك وإن لم يمتلك حق المواطنة، فمشكلة البدون تكمن في القانون المجحف لهم، لو كان هناك قانون آخر يمنح الجنسية بمدى حب الشخص لوطنه لكان منسي أول مواطن كويتي وأخو زوجته (سعود) أول البدون، فمن عرف منسي وما قدّمه للكويت قال: ((منسي يستحقّ وسامًا لا أن يزجّ في السجن))[٣٧]، وعندما علم بذلك منسي شعر بالفرح الغامر، إذ اتساع المكان ورجوع الأمل إليه، إلَّا أنه فرح مؤقت عمره لحظة القول. يخاطب زينب ((أنا منسي اسما في الوقت ذاته أجزم إني منسي حقيقة، يبقى السؤال المحيّر إن كان نهج التنسية يعود بمردود إيجابي إزاء تشكيل حياتك، أم بات علامة استفهام كبيرة تتصدّر واجهة مخيلتك تسّب لك معاناة أجهل آثارها))[٣٨]، إنَّ ذهن منسي مليء بالتساؤلات التي يتمنّى أن يحصل على إجابتها من ابنته زينب، فكلُّ ما يهمه بعد أن عانى طوال حياته أن يعرف مدى حبها له، وهل هي متفهّمة صرامة الحياة التي عاشها والدها، وهل هي تقدّر سبب طلاقه لامّها؟ فقد تسلك الشخصية سلوكًا تسعى به إلى أن ((تبتكر وسائل جديدة تتوضّح في

ضوئها طبيعة العلاقة القائمة بين الإنسان وواقعه))[٣٩].

إنَّ مشاركة منسي في مقاومة الاحتلال وإعطاءه البطاقة الكويتية باسم مستعار كان رهن الاحتلال، فما أن عادت الكويت حرّة عاد منسي بدونًا، فالكويت عادت للكويتيين وليس للبدون، يقول: ((مع مصادرة الدولة كلّها، مع غياب سلطتها، يولد كيان ثان من رحم الكارثة، المقاومة الكويتية، الظرف بالتعقيد المرافق، قبول العمل كما المبايعة قصد الاستشهاد، وسط هذه الفوضى العارمة والمنظمة تحت أرض لدرجة الذهول تُخصّص المقاومة فسحة محبّة، ترعى ناسها دون النظر للوائح معتمدة أو قوانين مُنظمة، رجل القانون صلاح الفهد سمّاني كويتيًا. دبّت حيويتي فيّ، شملت المكان بنظرة متفحصة متأنية، أنا حسبة صاحب بيت))[٤٠] كأنَّ الهوية الكويتية مناطة بوجود السلطة، فما أن أُسقطت السلطة حتى صار بالإمكان منح المواطنة للبدون، لربما كانت المقاومة ترى أحقية البدون بتلك المواطنة بسبب موقفهم الوطني أيام الاحتلال والمحنة التي لم تعشها السلطة آنذاك، فإذا كان البدون يعانون قبل احتلال الكويت، فإنَّهم عانوا أكثر في أيام احتلالها وأكثر من ذلك في أيام ما بعد التحرير إذ الإحكام العرفية التي جعلت منهم أعداء للوطن فقد مُلئت بهم السجون، وجرت عليهم أنواع الأحكام، فبعد عرضهم على المحاكم يتمّ إبعاد من كان بريئًا منهم لكونه يسكن في الكويت بصورة غير مشروعة، يقول منسي: ((نحن عبء ثقيل تجهد الكويت لخلاصها منه، قناعتي الشخصية يا زينب، حياة واحدنا عبء عليه، ارتباطاته العائلية مسؤوليات مترتّبة، علاقات الصداقة في جانب منها))[٤١] إذ إنَّ ما تعرّض له منسي إبّان الاحتلال في سجن العدو يختلف عن حكم الخمس سنوات في السجن المركزي بعد الاحتلال؛ لكونه سجن وطن لا سجن احتلال، يتحدّث مع نفسه في الزنزانة فيقول: ((رتم الحضور، أنتَ رقم، أنتَ شيء ضمن كَمّ، أنتَ منسي تمامًا، ما ادراك إنّك باقٍ حيًا حتى انقضاء سنوات محكوميتك، ما ادراك تعاد محاكمتك لسبب عائد لسعود وينالك المؤبد، ربما أبعد من المؤبد))[٤٢]، وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الظروف التي مرَّ بها منسي هي التي جعلته خاضعًا لأية سلطة غير قادر على النطق بالرفض، وهذا ما جعله لا يرفض التحاقه بالجيش العراقي عندما غزا الكويت، فقد كان أشبه باللعبة التي تُدار بين أيدي الأطفال كلٌّ واحد منهم يفعل بها ما يشاء، ولكن ربما كان ذلك خوفًا من الحاق الضرر بأمه، فلو تتبّعنا الأحداث التي تلت وفاتها لوجدناه قد رفض البقاء مع جيش العدو ضد وطنه عندما خلع الملابس العسكرية ولبس غيرها من الدفان الذي في المقبرة، وعندما امتثل منسي أمام القاضي بعد تحرير الكويت لأنَّه كان متهَّما بكونه التحق بصفوف الجيش المحتل كان يشعر بالمهانة، وأنَّه تابع لزوجته الكويتية ليس إلَّا، قال له القاضي: ((أنتَ متزوج من كويتية. أردف بنبرة تُحيل للإدانة. أنتَ كويتي إلى حدّ ما. لم أفهم القصد من، واجهني سؤاله. كيف سوّلتْ لكَ نفسكَ أن تنخرط في الجيش الشعبي المحتل لوطن زوجتك))[٤٣]، فهو يلومه على خيانة الوطن لأنَّ زوجته كويتية فقط، وإن الكويت ليست وطنه بل موطن زوجته ليس إلَّا، إنَّ هذا

الشعور يولِّد لدى الشخصية الشعور بالعدمية اتجاه الآخرين ويولِّد كراهية اتجاه من حوله من الناس، يقول: ((الذكرى مدعاة ألم غير مجدٍ، خير لك أن لا تصيب روحك بالمرض، عليكَ إخلاء ذهنك من أيّما فكرة ذات ارتباط، حريّ بك أن تكون ذا رأس فارغة من كل الذي يمتّ لماضيك بصلة، أنت منسي، أنتَ شيء، وإن أردت توصيفاً أدقّ أنت لا شيء، مجاراة مدركة لحالة انعدام قيمة، الحضور الجسدي شأن غيابه، بلا ثقل نوعي، العدمية كما قرأت عنها نظرية فلسفية محرّرة ورقياً، أن تعيشها معاناة التماهي بما لا علاقة له بالورق، عدميتكَ تلك يسّرت لك قبولك يأسك، أنا هنا، الداخل هو الخارج، ولا مكان خارج تصبو إليه، لا الآن القائم، لا الآن القادم، ما دام الزمن حالة آنية محضة، المستقبل أكذوبة لا تحتمل الإثبات في السياق العدمي غير النظري، ظننتكَ رسَّخت قناعاتك، ارتضيتها نهجًا معاشًا))[٤٤]، وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ منسيًا على الرغم من الظروف التي تعرّض لها إلَّا أنَّها لم توثّر على طباعه الشخصية اتجاه الآخرين، فلم يكن كارهًا لأي شخص وإن تعرَّض بسببه للسجن أكثر من مرة أو حرمانه من ابنته، إنَّما بقيت شخصيته تلك الشخصية التي تميل إلى الطيبة والسلام ما يشعر القارئ بأحقيته في المواطنة جانبًا إنسانيًا، قبالة ذلك نجد شخصية عهود على العكس من ذلك تمامًا، فقد غدت شخصية عنيفة متخبّطة أنانية تحاول إثبات ذاتها بالتهوّر مرة والهروب من الواقع مرة أخرى، وهذا ما جعله يبرّر لابنته زينب سبب طلاقه من أمها، يقول: ((هناك من يقول. فكّ ارتباط أبناء المرأة الكويتية بأبيهم غير الكويتي بعد طلاق بائن يساعد على دمجهم في جسم المجتمع هنا، وإلاّ رجحت كفة انتمائهم لوطن الأب. حالكِ مستثناة ما دمتِ لستِ هنا، وأنا الأب بدون وطن))[٤٥].

استلاب المكان

يمثّل المكان الاستقرار والطمأنينة للإنسان فهو الأساس الذي يعتمد عليه وجوده، ولذا فهو يمثل ثيمة أساسية في النص الروائي، فعن طريق المكان يمكن أن يمرّر الروائي كثيرًا من النواحي وأخصّ منها بالذكر النواحي الاجتماعية، فعن طريقه يمكن قراءة طبائع ساكنيه وطريقة معيشتهم، فقد عدَّه ذلك الكيان الاجتماعي الذي تتلخّص فيه حياتهم فضلًا عن كونه يحمل في طياته ذات الكاتب[٤٦]، فإذا ما عدنا إلى (منسي) نرى أنَّه قد شكَّل المكان الأساس الذي جعله مهمشًا مستلبًا، ذلك أنَّ كلَّ ما كان يسعى إليه هو الحصول على الوطن، وما الوطن إلَّا المكان الكبير الذي يضم مواطنيه لكن الكويت مثَّلت المكان الذي ضاق بـ(بمنسي) فبات مغتربًا لا وطن له.

إنَّ شعور الإنسان بعدم امتلاكه لمكان يمثل له وطنًا مع اتساع رقعة الكرة الأرضية يؤثر على حالته النفسية ويزيد من شعوره بالاستلاب، وممَّا يزيد من ذلك عدم توافر سكن يعيش فيه، أو يكون المكان الذي يسكن فيه مجسدًا لما يشعر به، وإذا ما بحثنا عن مكان سكن (منسي) وأثره في استلابه لوجدناه يكرس تهميشه ولحاقه بأصل، فهو يسكن في ملحق في مدينة النقرة في الكويت، المنطقة التي يسكن فيها المواطنون من غير جنسيات، فالمكان يؤثر ويتأثر بالشخصية التي تسكن فيه، فهو ((لا يظهر إلَّا من خلال وجهة

نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليست لديه استقلالية إزاء الشخص الذي يندرج فيه))[٤٧]، فقد تأثر (منسي) وبشكل كبير بالمكان؛ لأنَّه كثيرًا ما يذكّره باستلاب هويته الكويتية، ومن بين تلك الأماكن المدرسة، ففي المدرسة الابتدائية اليوم من الصف الأول ابتدائي قرأ المعلم أسماء التلاميذ وعندما وصل إلى (منسي) ذكر أنَّه اسم متداول في مصر كثيرًا ثم يحدق في وجهه وفي ورقته ويقول إنَّه ليس كويتيًا في هذه اللحظة تمنَّى (منسي) لو قال أنا كويتي، وكذا في النشيد الوطني في المدرسة المتوسطة وفي أثناء قراءة النشيد الوطني (وطني الكويت سلمت للمجد) يخفض الطلاب من غير جنسيات أصواتهم بعد كلمة وطني لينطقوا بأسماء أوطانهم، أمَّا الكويتيون فكانت تصدح حناجرهم باسم الكويت ومعهم منسي من دون أن يشعر بأنَّه بدون ولكن يومًا صدح بصوته مرتفعًا متغنيًا بالكويت فوكزه طالب سوري ليذكره بأنَّه ليس كويتيًا، كذا كشوفات المدرسة هو ليس كويتيًا، فضلًا عن الفقر الذي بات واضحًا على الزي المدرسي ومواقف أخر كثيرة دفعته إلى ترك الدراسة والعمل بصفة عامل خدمة في أحد المسارح.[٤٨]، فكلُّ ما حوله في المدرسة يكرّس فكرة استلاب الهوية ويشعره بالمهانة، إذ إنَّ ترك (منسي) للدراسة كان هروبًا من كلِّ شيء يذكره بعدم امتلاك هويته الوطنية، يقابله مكان آخر كان مدعاة إلى دعمه ومنحه أملًا في الحياة تجسّد ذلك في المسرح الذي وجد فيه الأصدقاء الذين دعموه في إكمال دراسته ليصبح ناقدًا، ويمثّل الكويت في الشام ومن ثَمَّ خروجه من السجن بعد احتلال الكويت ليسكن في غرفة كبيرة في المسرح[٤٩]، لقد مثَّل المسرح الملاذ الآمن الذي بحث عنه (منسي)، ولكنَّه ملاذ مقنع لا يمت للواقع بصلة، فكل ما حققه فيه لم يستطيع تحقيق غايته المنشودة في الحصول على الهواية، فكما يضحك الجمهور في أثناء عرض المسرحات وبمجرد خروجهم منه تعود حياتهم كما كانت كذلك (منسي) كان يعيش كما جمهور المسرح واقعه شيء ووجوده في المسرح شيء آخر لا يغنيه عن حاله الحقيقي وإن كانت يرسم له الأمل بالغد.

أمَّا الأماكن الأخر التي تنقل فيما بينها (منسي) في الرواية فلم تكن بإرادة منه وأخصّ منها بالذكر تلك التي كانت تقوده إليها (عهود) بحسب رغباتها، فلم تمثّل أي منها مكانًا مريحًا لـ(منسي)، سواء أول لقاء لهما في الشام أو بعد عودتهما إلى الكويت، وكذلك تنقله من سجن إلى آخر طوال الاحتلال وبعده، وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ شعور منسي كان مختلفًا ما بين الأمرين على الرغم من كونهما يمثّلان سجنًا، وفي ذات البلد ولربَّما ذات السجن لكنْ هناك سجن يشعر فيه الفرد بالفخر لكونه دخل إليه حبًا بالوطن؛ لأنَّه ضمن المقاومة، فهو سجن احتلال في حين دخل الآخر ظلمًا لأنَّه من البدون فهو متهمّ بالخيانة وهو سجن وطن.

الخاتمة

- لقد تشعّب تهميش البدون من تهميش الدولة إلى المجتمع والذات، فباتت حياتهم مستلبة من جميع النواحي
- فقد جاءت الرواية لتحمل معاناة هذه الفئة من

المجتمع الكويتي بحرمانهم حق المواطنة إلى عدم تزويج البدون من الكويتية وعدَّ ذلك خرقًا لا يُغتفر من قبل العائلات الكويتية، وتهميش من قبل الآخر سواء الحبيبة أو الزوجة.

- إنَّ ذلك الانغماس في شعور الفرد بالتهميش والاستلاب يجعل منه مهمَّشا لنفسه مستلبًا حقّها في اتخاذ القرارات وعليه يكون صامتًا إزاء كل الأحداث، وأخصّ بالذكر منها تلك المواقف التي تستدعي منه اتخاذ القرار المناسب ممَّا حدا به إلى الوقوع في كثير من المشاكل التي كان بإمكانه التخلّص منها لو رفض، أو ناقش الأمر، أو وضع بعض القيود والشروط.

- إنَّ الانغماس في الاستلاب قابله جانب مشرق تمثّل بالصداقة التي مثّلت السند للشخصية منذُ مرحلة الشباب حتى مرحلة متقدّمة بالعمر، والتي بدورها كانت حلقة مهمة في حياة الشخصية عندما سانده الأصدقاء في كثير من مصاعب الحياة وأخصّ بالذكر منها مرحلة الاحتلال.

- لقد جعل الروائي شخصية منسي تختلف عن الشخصيات المستلبة الأخر، فمن المتعارف عليه أنَّ الشخصية تصبح عدوانية، أو انطوائية لا تنفع المجتمع في شيء، وربَّما صارت ثقلًا عليه تسبّب المشاكل لمن حولها لكن شخصية منسي كانت تلك الشخصية المنتجة التي تعمل من أجل بلدها، فمن المعروف أنَّ الشخصية المستلبة تعاني إحباطًا وتمزّقا داخليًا وتشتتًا ينعكس سلبًا على علاقاته مع المجتمع.

- إذا ما تصفّحنا الرواية مجال البحث بحثًا عن الأماكن التي تنقَّل بينها (منسي) لوجدناها مجسِّدة لاستلاب مؤثّرة على حالته النفسية.

الهوامش

١- مدارات الحداثة، د. محمد سبيلا، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩: ٤٠

٢- لسان العرب، ج١، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر ـــــ بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ٤٧١.

٣- معجم المصطلحات الأدبية، عرض وتقديم وترجمة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـــــ لبنان، ط١، ١٩٨٥: ١١٣.

٤- الشعر والموت في زمن الاستلاب، اعتدال عثمان، مجلة فصول، مج٤، ٢٢٣

٥- ينظر: بنية الشكل الروائي، د. حسن بحراوي، المركز الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م : ٢٤٧ـــــ ٢٤٨.

٦- ينظر: بنية الشكل الروائي، ٢٤٧.

٧- ينظر: الشخصية في القصة القصيرة، المصطفى أجماهري، مجلة الموقف، المغرب، العدد:١٠، سنة١٩٨٩م: ١٢١

٨- معجم مقاييس اللغة ج٥، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ١٦٧: ٤٢١

٩- ينظر: لسان العرب، ٣٢٣ـــــ ٣٢٤

١٠- ينظر: معجم مقاييس اللغة، ١٦٧. وبنظر أيضًا لسان العرب ج٣، ٣١١.

١١- الشخصية المستلبة وأثرها في البناء السردي لرواية (وليمة لأعشاب البحر_ نشيد الموت)، د. زينب عبد الأمير حسين القيسي، الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات، مجلة مداد الآداب، العدد١١: ٦٩

١٢- اللغة والسلطة، د. ريم الشريف: ٥٠٦

١٣- رواية في حضرة العنقاء والخل الوفي، أسماعيل فهد إسماعيل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط٤، ٢٠١٥: ٣٣٦.

١٤- الرواية: ٢٩٢

١٥- ينظر الرواية، الصفحات: ١٤٧ـــ١٤٨ـــ ١٤٩ـــ ١٦٧ـــ٢١٨ـــ ٢٣٠ـــ وغيرها

١٦- الرواية: ١٥٥

١٧- الرواية: ٩٤

١٨- الرواية: ٩٤

١٩- الرواية: ٨١

٢٠- الرواية: ١٢١

٢١- الرواية:٦٦

٢٢- المجتمع العربي المعاصر، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٨٤: ١٢٦.

٢٣- الأنا، احمد برقاوي، دار التكوين، سوريا ـــ دمشق، ط١، ٢٠٠٩: ١٣٩

٢٤- الرواية: ٧٧

٢٥- الرواية: ٨٧ ينظر أيضًا ٩٨

٢٦- الرواية: ٨٧

٢٧- الرواية:٦٧
٢٨- ينظر الرواية: ١٢٥ـــ ١٢٦
٢٩- الرواية ١٦٨
٣٠- الرواية: ٣٣٤
٣١- الرواية: ٢٠٥
٣٢- الشخصية المستلبة في الرواية العراقية المعاصرة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٤، رائد جميل عكلو، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية/ جامعة ذي قار، العراق ٢٠١٦ :١٤.
٣٣- الرواية: ٢١٠
٣٤- الرواية: ٢٤٥
٣٥- الرواية: ٢٧٧.
٣٦- الرواية: ٢٧٦
٣٧- الرواية: ٣٤٣
٣٨- الرواية: ٣٢٩
٣٩- السلطة في الرواية العراقية، احمد رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١٣: ١٧١.
٤٠- الرواية: ٢٩٢
٤١- الرواية: ٣١٩
٤٢- الرواية: ٣٣٢
٤٣- الرواية: ٣٢٣
٤٤- الرواية: ٣٣٢
٤٥- الرواية: ٣٢٩
٤٦- ينظر: الرواية والمكان، ياسين النصير، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة (وزارة الثقافة والإعلام) دار الحرية للطباعة ـــــ المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٦: ١٦ـ٢٠
٤٧- بنية الشكل الروائي: ٣٢
٤٨- ينظر الرواية: ١٠ـــــ ١٦
٤٩- ينظر الرواية: ١٠ـــ ١١

المصادر والمراجع

١- الأنا، احمد برقاوي، دار التكوين، سوريا ـــ دمشق، ط١، ٢٠٠٩.

٢- بنية الشكل الروائي، د. حسن بحراوي، المركز الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م

٣- رواية في حضرة العنقاء والخل الوفي، أسماعيل فهد إسماعيل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط٤، ٢٠١٥.

٤- الرواية والمكان، ياسين النصير، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة (وزارة الثقافة والإعلام) دار الحرية للطباعة ـــــ المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٦

٥- السلطة في الرواية العراقية، احمد رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١٣.

٦- الشخصية المستلبة في الرواية العراقية المعاصرة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٤، رائد جميل عكلو، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية/ جامعة ذي قار، العراق، ٢٠١٦

٧- الشخصية المستلبة وأثرها في البناء السردي لرواية (وليمة لأعشاب البحر_ نشيد الموت)، د. زينب عبد الأمير حسين القيسي، الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات، مجلة مداد الآداب، العدد١١.

٨- الشخصية في القصة القصيرة، المصطفى أجماهري، مجلة الموقف، المغرب، العدد:١٠، سنة ١٩٨٩م.

٩- الشعر والموت في زمن الاستلاب، اعتدال عثمان، مجلة فصول، مج٤.

١٠- لسان العرب، ج١، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر ـــــ بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١١- المجتمع العربي المعاصر، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٨٤.

١٢- مدارات الحداثة، د. محمد سبيلا، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

١٣- معجم المصطلحات الأدبية، عرض وتقديم وترجمة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٥.

١٤- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

علی
عظیم